الخطاب الإلهي إلى الرسل والأنبياء وبقية المخلوقات في العهد القديم (موسى – حواء – الحية) نماذج مختارة

الباحث. م.م. دريد عبد مزيعل الظاهري

أ.د. حازم عدنان أحمد

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية / قسم العقيدة والفكر الإسلامي

الملخص:

من المسائل التي يجب التركيز عليها هي مسألة خطاب الله سبحانه وتعالى للخلقية وتحديداً خطابه للرسل والأنبياء (عليهم السلام) وكذا عامة المخلوقات وعن طريق الرسالات المتعددة بدءً من أبو البشر آدم (عليه السلام) وانتهاءً بالحقبة التي سبقت ظهور العهد الجديد المتمثلة بالسيد المسيح (عليه السلام) ، فقد تنوعت هذه الخطابات حسب مستويات المخاطب له ، وكان نتيجة ذلكَ هو الدعوة إلى الإيمان بالله والإيمان بملائكته وجميع أنبياء بني إسرائيل بما يضمن إيصال الرسالة الموجهة من السماء إلى هذه المستويات لغرض الموائمة والاتزان في تحقيق أصول الشرائع السماوية في العهد القديم ، إذ توزع هذا الخطاب بين ثنايا الكتاب المقدس لدى اليهود فمنه ما خاطب به الله أنبيائه كخطابه للنبي موسى (عليه السلام) وما تضمنه ذلكَ الخطاب وكذلك خطابه لبقية المخلوقات كخطابه لـ (حواء) وما خاطب به الله الحيوانات من بقية المخلوقات كخطابه (للحية) وهذا ما سنتعرف عليه من خلال تسليط الضوء على تلك المفردات.

الكلمات المفتاحية: (الخطاب الإلهي، الرسل والأنبياء، بقية المخلوقات).

Divine speech to the messengers, prophets and the rest of the creatures In the Old Testament (Moses – Eve – the Serpent) selected models

Duraid Abd Muzail Al-Dhaheri

Mr. Dr. Hazem Adnan Ahmed

University of Baghdad / College of Islamic Sciences / Department of Doctrine and Islamic Thought

Abstracts:

One of the issues that must be focused on is the issue of God's speech to creation, specifically His speech to the messengers and prophets (peace be upon them), as well as the generality of creatures and through multiple messages, starting with the father of mankind, Adam (PBUH), and ending with the era that preceded the advent of the New Testament represented by the Lord Christ (PBUH), These discourses varied according to the levels of the addressee, and the result of that was the call to believe in God and to believe in His angels and all the prophets of the Children of Israel, in a way that guarantees the delivery of the message sent from heaven to these levels for the purpose of harmonization and balance in achieving the fundamentals of the heavenly laws in the Old Testament, as this discourse was distributed between The folds of the Holy Book of the Jews, including what God addressed His prophets, such as His speech to the Prophet Moses (PBUH), and what was included in that speech, as well as His speech to the rest of the creatures, such as His address to (Eve), and what God addressed the animals among the rest of the creatures, such as His address (to the serpent), and this is what we will learn about by shedding light on those vocabulary.

Keywords: (divine speech, messengers and prophets, rest of creatures)

أولاً : الخطاب الإلهي للنبي موسى (عليه السلام) في العهد القديم

عند الحديث عن نبي الله موسى فأننا نتحدث عن أفضل الأنبياء الذين جاءَ بهم الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل وهذا ما أكدته نصوص العهد القديم فلم يأتي إليهم نبي أفضل منه فما ورد في سفر التثنية : **[ولم يظهر بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي خاطبه الرب وجهاً لوجه]**(١) ، وما حكاه السفر نفسه عنه بأنه رجل الله ومصدر البركة : **[وهذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله نبي إسرائيل قبل موته]**(٢)، وما حباه الله من

منزلة عظيمة و وصفه إياه بالأمين وفضله بالمخاطبة وجهاً لوجه من غير الغاز ونها عن انتقاده من قبل الأخرين : **[أما عبدي موسى فلست أعامله هكذا بل هو أمين في بيتي لذلكَ اكلمه وجهاً لوجه وبوضوح من غير الغاز ويعاين صورة الرب فلماذا جرؤتما على انتقاد عبدي موسى]**(٣).

ولكن وجد الباحث الصورة المخالفة لما ذكرته تلكَ النصوص والتي وردت في الكتاب المقدس لدى اليهود إذ صورا نبي الله موسى بأرذل الصفات واحقرها فتحدثت عنه نصوص العهد القديم حديثاً فاضَ يتنافى مع منزلة النبوة ومكانته الاصطفاء والاختيار من قبل الله تعالى له ، وهذا يعد طعناً للذات المقدسة ، فهذه دلالة على أن الله سبحانه وتعالى لم يحسن اختيار أنبيائه الذينَ أرسلهم لتبليغ رسالته للبشرية (تعالى الله عن ذلكَ وارتفع) ، ومن تلك الاتهامات التي طالت نبي الله موسى (عليه السلام) هي تنفيذ الأوامر الصادرة له من الله وحسب ادعاء اليهود المتمثلة بالقتل والخراب والعنف ضد فئات معينة إذ حدثنا الكتاب المقدس لدى اليهود عن أوامر منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى والتي أمر بها نبيه موسى وهي تبين تحريض الرب على القتال والحصار وأخذ السبايا و وجوب قتل النساء والأطفال والشيوخ وحتى الحيوان بل وصُوّرته نصوص العهد القديم بأنه قد أساء الأدب مع الله سبحانه وتعالى وهو يخاطبه والأعظم من ذلكَ اتهامهم له بالخيانة واخيه هارون وعدم تقديسه للرب وسط بني إسرائيل وهذا ما سأوضحه من خلال النصوص التالية :

١- التجلي الإلهي لموسى

يكشف لنا هذا النص عدم مقدرة كُتاب نصوص العهد القديم على تقديس الاله والسمو به وتنزيه عن الجسمية وجميع الصفات البشرية إذ يعلن الله عن ذاته لإثبات ربوبيته وإرادته فيتشبه بالمخلوقات ويظهر بأشكال وهيأت صورية مختلفة مجسمة كالسحاب والدخان ، ووقوفه أمام نبيه موسى ليعلن له ويصرح عن أسمه ، وبالرغم من ذلك نجد الوجه الأخر في تلك النصوص إذ يعلن الله عن صفاته التي تليق بمقامه القدسي ، كالرأفة والرحمة والإحسان

والوفاء وغفران الذنب وهذا ما سنتعرف عليه من خلال استعراض النص التالي : **[فنزل بهيئة سحاب و وقف معه هناك حيث أعلن له أسمه (الرب) وعبر من أمام موسى منادياً " أنا الرب ، الرب إله رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء ، أدخر الإحسان وأغفر الإثم والمعصية والخطيئة]**(٤).

أعلن الله عن أسمه وقد فعل ذلكَ عن طريق عبوره قدام موسى فأجتاز الرب ونادى باسم (الرب) الذي جعل نفسه معروفاً به ، لقد جعل نفسه معروفاً لموسى في جلال حضوره وبمجد نعمته ، وقد قيلت هنا كلمات كثيرة لتعرفنا بصلاح الله وتقنعنا به ومنها :

أ- إنه (رحيم) وهذا ما يوحي برحمته العظيمة كرحمة الأب بأبنائه.

ب- إنه (رؤوف) وهذا ما يعلمان أن نكون ليس فقط مشفقين بل لطفاء.

ت- إنه (بطيء الغضب) يؤخر تنفيذ عدالته ينتظر كثيراً بفيض من الكرم ويطيل من زمن رحمته.

ث- إنه (كثير الإحسان والوفاء) وهذا ما يوحي بالصلاح الموعود به الصلاح والأمانة معاً.

ج- أنه (حافظ الإحسان إلى الف) .

ح- أنه (غافر الآثم والمعصية والخطيئة) وقد ذكرت الرحمة الغافرة لأنها هي التي تفتح الباب أمام جميع عطايا نعمته الإلهية الأخرى (٥).

وقد ورد تفسير هذه الآية في الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم مشابه لما ذكره متى هنري في تفسيره : " وقف موسى في الفترة التي وضعه فيها الله بعدما صعد موسى على رأس الجبل ظهر له الله على شكل سحاب عظيم ثم سمع صوت من السماء ينادي أن الله قد حضر وهذا يثير مشاعر الرهبة والمخافة وفي نفس الوقت الاشتياق والحب داخل موسى (٦).

تحرك الله أمامه في شكل سحاب عظيم وقد يكون مصاحباً بنور قوي ثم سمع صوتاً ينادي بأسم الرب وكرر ذلكَ تأكيد حضور الله بذاته ومعلناً صفات الله وهي :

أ- الرحمة والحنان على شعبه والإشفاق والرأفة بهم.
ب- طول الأناة فلا يغضب على شعبه بسرعة إن أخطأوا ويعطيهم فرصة للتوبة.
ت- عطاياه كثيرة لا تنتهي.
ث- يفي بوعوده (٧).

وبعد هذا العرض لصفات الله التي وصف بها نفسه ما برح كُتاب تلك النصوص من أحبار اليهود بتحريف الكلم عن موضعه إذ انهم ناقضوا ما وصف الله بها ذاته المقدسة ، فراحت تلك النصوص وفي عدة مواضع تتحدث عن الله واصفة إياه بصفات الجهل والنقص والعجز بل وتصفه أنه سريع الغضب ولا يمتلك من الرحمة شيئاً وما ذكره سفر الخروج : **[فالان اتركني ليحمي غضبي وافنيهم فأصيرك شعباً عظيما]** (٨) ، و وصفه بأنه إله حرب وهذا ما حكاه سفر الخروج أيضاً : **[الرب محارب ، الرب أسمه]** (٩) ، وما أيده سفر التثنية بعد تحريض النبي موسى لاتباعه بمحاربة الكنعانيين : **[لا تجزعوا منهم لان الرب إلهكم يحارب عنكم]** (١٠) ، إذ يحدثنا الكتاب المقدس لدى اليهود عن الأوامر المنسوبة إلى الله سبحانه وتعالى زوراً وبهتاناً وهي تبين أوامره بالقتل والحصار والدمار واخذ السبايا والتحريض على السرقة والاغتصاب و وجوب قتل النساء والشيوخ والأطفال ولم يكتفي بذلك حتى أمر بقتل الحيوان أيضاً ، حتى أن اليهود لم يكلفوا أنفسهم للنظر في تلك النصوص المنافية لأبسط مبادئ الرحمة والرأفة بالمخلوقات ، إذ استندت قوانين القتل والإجرام والإبادة لدى اليهود على أيديولوجية عنصرية معتمدة على مجموعة من تلك النصوص المزورة والمحرفة التي نسبوها لله سبحانه وتعالى والتي سأبينها من خلال استعراض مجموعة من الخطابات الإلهية الموجهة للأنبياء والرسل في العهد القديم ومنها :

٢- الخطاب الإلهي لموسى للرأفة بالحيوان

لقد ذكرت نصوص العهد القديم خطاب الله ورأفته بالحيوان فكانت رحمة منقطعة النظير ومن تلكَ النصوص ما جاءَ في سفر اللاويين : **[وقال الرب لموسى " متى ولدت بقرة أو**

شاة أو عنزة يمكث وليدها معها سبعة أيام ثم في اليوم الثامن يصح تقديمها قربان وقود للرب ، لا تذبحوا البقرة أو الشاة مع لبنها في يوم واحد"](١١).

" يشرط أن يقضي المولود سبعة أيام مع أمه قبل أن يقدم ذبيحة حتى يراعوا المشاعر فيعطها فرصة للأم والابن أن يتمتعوا معاً فالأم ستحزن حين يأخذون ولدها وهكذا الولد سيحزن ويصرخ دون استجابة " (١٢).

وذكر آرثر في تفسيره : لا يقدم حيوان ذبيحة إلا من اليوم الثامن من عمره فقد أشترط من قبل أن البكر من الماشية المخصصة للرب لا يؤتى به إلا بعد اكتمال عمره ثمانية أيام ، إذ لا تذبح البقرة أو الشاة مع أبنها في يوم واحد سواء لتقديمها ذبيحة أو للاستعمال العادي لئلا يبدو أن الأمر انه عمل عدائي لهذه الأجناس أن يذبح جيلين في ذات الوقت كما لو كان القصد هو إبادة النوع (١٣).

هذا وقد اشترط إلا يقدم حيوان كذبيحة مالم يكن قد مضى عليه سبعة أيام تحت أمه يرضع ولعل الحكمة في ذلكَ أن كثيراً من الحيوانات تحزن بمرارة أن نزع رضيعها في الأيام الأولى ، وكان الله يترفق حتى على الحيوان الأم فلا يحزنها تقديم قربان له ، أيضاً طالبهم بأن لا يقدموا حيواناً وأمه في يوم واحد ولعل الحكمة في ذلكَ أن الله أراد أن يكونوا مترفقين بالحيوان ولعله أراد أن يحثهم على الاهتمام بالروابط الدموية حتى بالنسبة إلى الذبائح بين الحيوانات (١٤).

ويتبين للباحث من خلال استعراض النصوص آنفاً أتصاف الله سبحانه وتعالى بأوصاف عدة فمنها : أنه غفور رحيم يغفر الذنب بطيء الغضب كثير الإحسان رحيم حتى مع أضعف المخلوقات وهي الحيوانات إذ وصف ذبح صغير البقر أو الشاة أو الماعز أمام أمه بالعمل العدائي وعدم مراعاة المشاعر لذلكَ الحيوان فلربما يتصدع قلب الأم البقرة أو الشاة أو العنزة على حملها وحوارها وهي تودعه بعد أن يفري القصاب أوداجها ولكننا في الوجه الآخر للتوراة نجد شيء غريب وعجيب لنفس الرب الذي يرأف بذلكَ الحيوان فهو يأمر

شعبه أن لا يرأفوا بكل نفس حي يتحرك وهذا عين التناقض في تلك النصوص التي وردت في العهد القديم .

وأما من جانب تحقيق العدالة الإلهية فقد جاء الخطاب الإلهي للنبي موسى لتبيين وتوضيح حدود مرتكبي الذنب إذ جاءت في شريعة موسى تشريعات وأوامر إلهية تنفي توارث الخطيئة إذ قضت بعدم قتل الأنفس البريئة من الأبناء بذنب ارتكبه الآباء ، فأن لكل أنسان وزره وكذلك الآباء لا يقتلون بذنب ارتكبه الأبناء وهذا ما ظهر واضحاً بين ثنايا نصوص العهد القديم ومنها ما حكاه سفر التثنية : **[لا يقتل الآباء عوضاً عن الأبناء ولا يقتل الأبناء بدلاً من الآباء فكل أنسان يتحمل وزر نفسه]**(١٥) ، وما حدثنا به سفر حزقيال : **[أما النفس التي تخطئ فهي تموت لا يعاقب الابن بإثم أبيه ولا الأب بإثم ابنه ، يكافئ البار ببره ويجازى الشرير بشره]**(١٦) ، فقد أسفرت تلك النصوص مؤكدة عن هذا الأمر مراراً وتكراراً ولذلك جاء هذا التشريع كي لا يقتل الإنسان بريء بجريرة أنسان مخطئ فأكدت الشريعة الإلهية ودعت إلى التحقيق والتدقيق والتقصي قبل إصدار الأحكام فيضع الله حداً للغضب والحقد والانتقام والأخذ بالثأر وبذلك تتحقق العدالة الإلهية المرجوة .

وبالرغم من وصف الله في تلك النصوص بصفات التنزيه والتقديس وما يليق بمقامه القدسي يجد الباحث ركامٌ فضيع من التحريف والتزوير والتدليس الذي وضعه أحبار اليهود في كتابهم المقدس إذ وردت بعض الخطابات الإلهية تناق ما أمر به الله فيتراجع بعد ذلك عن رأيه ويأمر بقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وحتى الأسرى وذهب إلى أبعد من ذلك فقد أمر بشق بطون الحوامل وقتل الأجنة التي في داخلها انتقاماً من بعض الشعوب إذ ورد في سفر هوشع : **[فيفنى أهلها بحد السيف ويتمزق أطفالها أشلاء ، وتشق بطون حواملها]**(١٧) ، وكذلك الحيوان فأنه لم يسلم من البطش الذي أمر به إله اليهود فأمر فتصفيته هو الأخر فأي إلهٍ هذا ؟ يأمر بالقتل وسفك الدماء وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ وشق بطون الحوامل وما ذنب الحيوان في خطيئة ارتكابها غيره حتى يُقتل

؟ وهذا ما سأعرضه من خلال تسليط الضوء على بعض الخطابات الإلهية لأنبياء بني إسرائيل وبقية المخلوقات .

ومن تلكَ النصوص التي تبين الوجه الآخر والتناقض الواضح في كتابات العهد القديم هي :

٣- الخطاب الإلهي لموسى للتحريض على الاحتيال والسرقة

يجد الباحث في هذا النص خطاباً يختلف عن بقية الخطابات الإلهية الأخرى إذ يتحدث النص عن الأمر الإلهي للنبي موسى بأن يحرض بني إسرائيل على سرقة المصريين وهذا ما ظهر واضحاً من خلال النص التالي :

[ثم قال الرب لموسى : ضربة واحدة أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلكَ ، يطلقكم من هنا ، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا ، بالتمام تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين أمتعة من فضة وأمتعة ذهباً وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين أعاروهم ، فسلبوا المصريين](١٨).

لقد أختلف مفسرو وشراح العهد القديم بتفسيرهم لهذا النص فقد كان لمتى هنري قول في ذلكَ إذ ذهب إلا أن ما حصل عليه بنو إسرائيل من المصريين يعتبر إحقاقاً للحق واسترداد لأجرتهم التي سلبها المصريون وقد فعلوا ذلكَ بناءً على توجيهات إلهية ، إذ ذكر في تفسير هذا النص ما مفاده :

كان بني إسرائيل محبوبين لدى السماء وكان هذا الوقت هو آخر عهدهم بحياة العبودية والقهر ، حيث كانوا على وشك أن يغادروا مصر وكان أسيادهم الذين استغلوهم في أعمالهم يريدون حرمانهم من أجورهم وإرسالهم فارغين على الرغم من أن بني إسرائيل كانوا في

صبرهم على استعداد لخسارة أجورهم إلا أن الله لم يكن يرضى أن يخرجوا بدونها ، حتى أن الشعب الذي كان موضع كراهية واحتقار اصبح الأن محل احترام ، وهكذا كان على الإسرائيليين أن يأخذوا ما استعاروه من المصريين ويحتفظوا به وبالأحرى ما طلبوه من المصريين فيما يفعل العبيد عندما يستلمون ما يستحقونه من أجور(١٩).

وأما وليم مارش في السنن القويم فقد كان له رأي أخر إذ أكد أن ما قام به بنوا إسرائيل هو تشريع إلهي بلغه إياهم النبي موسى نافياً أن ما حصل هو على سبيل الإعارة مؤكداً السلب الذي أمر به الرب شعبه المختار.

فقد ذكر في تفسيره لهذا النص وقوله :

ظن بعضهم أن ما قام به بنو إسرائيل هو على سبيل الإعارة والأمر ليس كذلكَ والدليل على ذلكَ أنهم لم يطلبوا الحلي إلا ساعة الانطلاق وكيف لهم أن يعيروهم تلكَ الحلي الذهبية مع علمهم بعدم رجوعهم ، ولقد كان المصريين مختلطين بالإسرائيليين فكان الرجال المصرين في ذلكَ العصر يلبسون الحلي كالنساء وهنا (تسلبون المصريين) فتكونون كأنكم غلبتموهم في الحرب وسلبتموهم ، ولو كان ذلكَ محظوراً على المطرودين لقلنا هذا قضاء الله فأنه له كل ما كان للمصريين فأخذ بعض ماله منهم وأعطاه شعبه ولولا ذلكَ لم يجز للمصريين أن يأخذوه على أنه حكم عادل ولان المصريين ظلموا الإسرائيليين كثيراً فكانوا مستحقين ذلكَ الجزاء بل أكثر منه ، والواقع أن المطرودين كان لهم بمقتضى عادات تلكَ الأيام أن يطلبوا من الطاردين أشياء يستعينون بها على السفر فكان أمر الله للإسرائيليين أن يطلبوا ما ذكر فلا يكون الأمر من المحظورات(٢٠).

وبعد استقراء هذا النص والاطلاع على آراء المفسرين أتضحت عدة أمور منها :

- كيف يتأمر الله مع نبيه موسى على سرقة المصوغات الذهبية والحلي ويسهل الله تلكَ المهمة بقدرته في عيون المصريين فيقبلوا طلب بنو إسرائيل ؟ وأي إله هذا يكذب ويشجع على الكذب إذاً كيف ستكون رعيته ؟ وهل سيحاسب على ذلكَ الكذب

والسرقة التي أمر بها شعبه ؟ وهو نفسه الذي كان قد نهى عن الكذب وهذا ما أيده النص التالي : **[الشفاه الكاذبة رجس لدى الرب ، ومسرته بالعاملين بالصدق]**(٢١).

- وقد يسأل سائل هل المصريون كانوا سذجاً إلى درجة أنهم صدقوا أن المجوهرات والمصوغات الذهبية التي أخذها العبرانيون سترجع إليهم وأنهم قد علموا بخروج بني إسرائيل دون عودة ؟ وهذا يثبت أن الإسرائيليين وبلا شك أنهم قد ثاروا على المصريين وسرقوا بيوتهم وهربوا إلى خارج الحدود وبفعلتهم هذه التي كانت ضمن توجيهات إلهية بلغها إليهم النبي موسى وضمن تشريع السماء.

ويفهم من خلال هذه القصة التحريف والتزوير الذي طال تلكَ النصوص التي يتنزه عنها الله سبحانه وتعالى وعن الأمر بها وفي ذلكَ إشارة واضحة إلى خلق الإسرائيليين وتشريعهم لأنفسهم قوانين وتشريعات ما أنزل الله بها من سلطان وذلكَ لاستحلال أموال غيرهم وسلبها بأي وسيلة كانت ظناً منهم بأن الله لم يغضب بفعلتهم هذه وهو الذي أوصاهم بعدم السرقة وعدم اشتهاء ما للغير وهذا ما ورد في ثنايا الكتاب المقدس لدى اليهود : **[لا تسرق لا تشهد زوراً على جارك ، لا تشتهي بيت جارك]**(٢٢) ، وغيرها من الشواهد التي دلت على ذلك.

٤- الخطاب الإلهي لموسى وهارون بوضع علامة على بيوت الإسرائيليين

وتستمر نصوص العهد القديم بعدم تنزيه الله سبحانه وتعالى إذ أنها تنسب إليه القصور والجهل والضعف فلما أمر الله معاقبة المصريين امر موسى وهارون بوضع الدم علامة على البيوت التي فيها مريديه لكي يجتازهم أثناء إنزال ذلكَ العقاب وهذا ما سنتعرف عليه من خلال النص التالي :

[ففي هذه الليلة اجتاز في بلاد مصر واقتل كل بكر فيها من الناس والبهائم وأجري قضاء على كل إلهة المصريين ، أنا هو الرب ، أما أنتم فأن الدم الذي على بيوتكم

المقيمين فيها يكون العلامة التي تميزكم فأرى الدم وأعبر عنكم ، فلا تنزل بكم بلية الهلاك حين أبتلي بها أرض مصر](٢٣).

لقد بررت الموسوعة الكنسية لهذا الفعل وقرنته بمدى الالتزام والطاعة لله فبذبح الخروف وبتلطيخ الباب بالدم إشارة للملاك المهلك بإيمان وطاعة صاحب المنزل وعلامة واضحة للملاك نفسه بعدم إنزال العقاب بذلكَ المكان.

تمر قوة الله الممثلة في الملاك المهلك في كل مصر تظهر الضربة العاشرة مع باقي الضربات قوة الله فوق كل قوة الآلهة الوثنية فتخضع فرعون الذي كان إلهاً ، ويؤكد بوضوح أن حماية إبكار شعبه هي بالدم الملطخ على الأبواب فعندما يعبر الملاك يرى الدم فلا يقتل أحداً في هذ البيت نتيجة إيمانهم وطاعتهم لله في ذبح الخروف وتلطيخ الباب بالدم (٢٤).

وأما متى هنري فهو الأخر لم يذهب إلى رأي أخر فقد وافق الموسوعة الكنسية في نفس الرأي وقوله :

كان يتعين رش الدم على العتبة العليا والقائمتين لكل منزل من منازل الإسرائيليين وليس على العتبة السفلى لكي لا يطأ أحد برجليه وذلكَ لاعتباره دم مقدس إذ اعتبر رش الدم وسيلة حفظ الإسرائيليين من الملاك المهلك الذي لا يقترب من أي مكان قد رش بالدم وحسب التوجيه الإلهي له (٢٥).

والذي يفهم من خلال النص وما ذهبَ إليه شراح ومفسرو العهد القديم في تفسيرهم لهذا النص أن الله أمر الملاك المهلك بذبح كل بكر ذكر في أرض مصر ، سواء كان من البشر أم من البهائم ولكي لا يخطأ الرب في إلحاق الأذى ببني إسرائيل ولكون وقت وقوع الهلاك ليلاً أمر بني إسرائيل أن يذبحوا ضأناً ويقومون برش الدم على العتبة العلوية للبيت والقائمتين للتمييز بين بيوت الإسرائيليين عن سواها وبهذا فأن كاتب هذا النص ومفسرو وشراح العهد القديم قد بالغوا بالتعدي والإساءة على ذات الله المقدمة فأنهم قد نسبوا إليه

الجهل والقصور فهل أن الله العليم بكل شيء يحتاج لعلامة كي لا يخطئ فيفرق بينَ من يريد إهلاكه وبينَ أبناء شعبه المختار ما لكم كيف تحكمون؟.

ثانياً : الخطاب الإلهي لحواء

بعد التعرف على قصة نبي الله آدم وما ذكرته في البحوث السابقة ، لابد من تسليط الضوء على جانب من الخطاب الإلهي الذي وقع على حواء لارتكابها الخطيئة والنتائج الخطيرة والمصيرية التي وقعت على البشرية جمعاء بسببها والتي أثرت على الجنس البشري منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة كما يراها العهد القديم إذ ذكر سفر التكوين :

[ثم قال للمرأة " أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبيني بالآلام أولاداً والى زوجكَ يكون اشتياقكِ وهو يتسلط عليك] (٢٦).

صرح وليم مارش في تفسير هذا النص : لم يلعن المرأة كما لعن الحية لكنه عاقبها على إطاعتها للحية وأخطائها إليه تعالى إذ جعل عقابها في أمرين :

الأول : أكثر أتعاب حبلها و وجع ولاتها ، فذكر هنا عقابها المختص بها وهو أعظم رزايا هذه الدنيا فأنها تتعب بالحمل أشد الأتعاب وتتعرض بالولادة للموت مع شديد الألم على أنها تفرح بعد الولادة بأنها ولدت أنسان جديد ، إذ يعسر على علماء الطبيعة تعليل سبب أمراض حبل النساء وأوجاع الولادة بخلاف البهائم لان هذه البهائم تحبل وتلد بلا ألم وبأتم صحة وتكون ولادتها سهلة فلا يمكن تفسير هذا الفرق إلا بسبب العقاب الإلهي المذكور.

الثاني : اشتياقها إلى زوجها وسيادته عليها فأنظر كيف انقلبت حالها أن الرجل كان يشتاق إليها ويطيعها كأنها تسود عليه قبل المعصية والخلاصة أنها كانت مشتاقاً إليها فصارت مشتاقة وكانت مطاعة سائدة فصارت مطيعة ، وأصبحت تميل إلى أن يكون لها زوج وأنها تحبه وتخضع له وصارت تفتقر فيها إلى ذلكَ (٢٧).

ويتبين من خلال معنى النص أن الألم والمشقة التي شملت حواء هو بسبب الخطيئة والمعصية إذ أصبح حملها و ولادتها بألم شديدين لكي تتذكر معصيتها وإغوائها لآدم .

أما الأمر الأخر فأن قول الرب للمرأة (تكثيراً أكثر أتعاب حبلك) وكأن الله يقول هنا لقد أردت أن تكون حياتك لا شقاء فيها بعيدة عن كل حزن وكآبة متوشحه بجسد وأنتِ لا تحسين بشيء من أمر هذا الجهد فلما لم تستحملي هذه الراحة فيما ينبغي لذلكَ وضعت لك لجاماً كي لا يتزايد جموحك ويتعاظم مرحك واقضي عليك بالأتعاب ، وقول الرب (والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك) فكأنه يقول للمرأة : منذ البداية خلقتك مساوية في الكرامة للرجل في كل الأمور وكما قلدت زوجك الرئاسة على الكل ولما لم تستحملي مساواة الكرامة فيما ينبغي وملتِ إلى الشيطان ومفاوضته وقبلت مشورته ، أخضعتك لزوجك وأظهرته رئيساً عليك فتكوني تحت سلطانه وراضخة لسيادته [٢٨].

أذن تمثلت العقوبة الخاصة لحواء في المها وأوجاعها في حملها و ولادتها وخضوعها للرجل بأن يصبح الرجل سيداً عليها .

أن لولادة المرأة ووجود نسل للمرأة لا يتم إلا بالألم أثناء الولادة وهذا لا يوجد إلا في البشر أما الحيوانات فلا تعاني من ذلكَ وذلكَ لكي تتذكر المرأة خطيئتها فتتوب وتحترس ، أما فساد العلاقة بينَ الرجل والمرأة فيعد أن كان آدم يشتاق إليها أصبحت بعد الخطيئة هي من تشتاق إليه أما هو فيميل إلى السيادة والسيطرة ولذا فميل أحدهما للسيطرة على الأخر سواء المرأة بحيلها والرجل بتحكمه وسيادته هو رجوع إلى حالة الخطيئة ونتائجها الشريرة [٢٩].

نرى في هذا النص الآنف الذكر أن الله قد وجه العقوبة لحواء ولم يعاقب آدم لأنها هي من ارتكبت الخطيئة أو المعصية وذلكَ بعد سؤال الله حواء عن فعلتها ، إذ جاءَ ذلكَ العقاب ليس لحواء وحدها بل إلى جميع الجنس البشري من النساء بعدها فعوقبت بلعنتين ، أحدهما هي مضاعفة أوجاع حواء في الحمل والولادة والأخرى تسلط الرجل عليها واشتياقها له حيث

أعلن الله عن تلكَ العلاقة بينَ الرجل والمرأة التي سوف تتم بالصراع وقد تحققت هذه العقوبة في ذرية كل امرأة من ذرية حواء منذ ذلكَ الزمان وحتى قيام الساعة حسب أدعاء اليهود.

ويرى الباحث أن هذه العقوبة التي وجهها الله سبحانه وتعالى لحواء منقوضة لعدة أسباب ومنها :

- أن آلام المخاض التي يتحدث عنها النص هي وظيفة طبيعية أثناء الولادة إذ أن الألم الذي تتعرض له النساء عند الولادة هو ما اقتضته الحكمة الإلهية منذ بدء الخليقة ولا علاقة له بالعقوبة ، فهل أن آلام الحيوانات الأخرى عند الولادة ومعاناتها والموت في بعض الأحيان هي عقوبة أيضاً ؟
- ذهبَ كتاب ومفسرو العهد القديم إلى التطاول على الذات الإلهية المقدسة بوصفهم الله بالظلم ، إذ أن من الظلم أن يعاقب الله على ذنب لم تدركه حواء وتدرك قبحه إذ أنه وكما علمنا أن آدم وحواء لم يعرفا الخير والشر بعد إذ كيف وقع آدم وحواء في الإثم والمعصية بسبب عدم معرفتهم لذلكَ الخير والشر ؟
- أن مسألة سيادة الرجل على المرأة (وهو يسود عليكَ) التي اعتبرها النص بأنها عقوبة إلهية على حواء ما هي إلا قوامة اقتضتها الطبيعة الاجتماعية لكون الرجل قائم على الزوجة من عدة أمور فمنها ، الإنفاق والتدبير والحفظ ، والصيانة فضلاً عن تفوق الرجل على المرأة بالشدة وقد علمنا أن النساء حبلن على الرقة والعطف واللين وهذا ما نراه شاهداً في الواقع من أن في قوامه الرجل على المرأة عبء أكثر منها كرامة.
- أن سيادة الرجل على المرأة كما صورها العهد القديم هي عقوبة إلاهية أُريد منها إشعار المرأة بالنقص والتي كانت سبباً في قيام الحركات النسوية ضد هذا التصور التوراتي فلقد كان للمرأة ثورات عدة ضد سيادة الرجل إذ حاولت التحرر من تلكَ السيادة التي أعتبرها العهد القديم عقوبات من الرب.

- أن اشتياق المرأة إلى الرجل يقوي الروابط الاجتماعية والأواصر الأسرية فلولا الاشتياق والمحبة بينهما لما تكونت النواة الأولى في المجتمع إلا وهي الأسرة ولما تألفت وتحابت.
- يستنتج الباحث من خلال النص أن إله العهد القديم إله ، حاقد ناقم ، ضعيف ، متصف بصفات بشرية ، يغضب ، ويحزن ويعاقب كما انه غير عادل فقد حمل نسل حواء خطيئة لا علاقة لهم بها فما ذنب وراثة البشرية جمعاء لذنب أبويهم واستحقاقهم لتلكَ العقوبة المزعومة القاسية ، لذلكَ فأن اعتبار وراثة الذنب هو أتهام الله بالظلم الذي لا يليق بعظمة الخالق سبحانه وتعالى ، وقد علمنا من خلال استقراء النصوص التي نفت وراثة ذلكَ الذنب مؤكدة على مسؤولية كل أنسان عن عمله وهو ما ورد في النصوص التالية :

[النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من أثم ، الأب والابن لا يحمل من أثم الابن](٣٠).

[لا يقتل الآباء من الأولاد ولا يُتقتل الأولاد عن الآباء كل أنسان بخطيئة يقتل](٣١).

[لا تموت الآباء لأجل البنين ولا البنون لأجل الآباء بل كل واحد يموت لأجل خطيئته] (٣٢).

- لقد أكد النصارى التحريف والتلاعب بنصوص العهد القديم إذ يفهم من النص الآنف الذكر أن استمرار هذه العقوبة حتى مجيء المسيح الذي يزعم النصارى بأن الله قد صالح البشرية بقتل أبنه على الصليب وهذا ما ورد في رسالة بولس الرسول : **[أن الله صالحنا بموت المسيح على الصليب]** (٣٣) ، فإذا كان الرب قد صالح البشرية ورضى عنهم بسفك دم المسيح للتكفير عن ذنب آدم وحواء ، فلماذا لا تزال المرأة تلد الأوجاع ولا زالت تشتاق إلى زوجها ؟ ويشتاق إليها ولا زالت سيادة الرجل على المرأة حتى يومنا هذا ؟

ثالثاً : الخطاب الإلهي (للحية)

بعدما علمنا قصة آدم وحواء وكيف اغوتهم الحية بالاكل من شجرة معرفة الخير والشر فكان الخطاب الإلهي هذه المرة موجهاً للحية كونها السبب الرئيس في إخراجهما من الجنة إذ ورد في سفر التكوين : **[فقال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنتِ من بينَ جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنيكِ تسعين ومن التراب تأكلين طوال حياتك وأثير عداوة وائمة بينكِ وبينَ المرأة وكذلكَ بينَ نسليكما هو يسحق رأسك وأنتِ تلدغين عقبه]**[٣٤].

وتذهب الموسوعة الكنسية إلى تفسير هذا النص الذي أشار إلى لعن الحية وعقابها من قبل الله إذ ذكرت : أن المقصود بالحية على الأكثر أنه الشيطان ، وكان العقاب هو :

١- اللعن الإلهي أي فقدان البركة والتعرض للمتاعب الكثيرة.
٢- فقدان المنظر الجميل فالحية كانت قائمة أولاً ولكن عندما لعنها الله أصبحت تزحف على بطنها فصارت ملتصقة بالتراب فيدخل في فمها بدلاً من الطعام.
٣- وجود عداوة مستمرة بينَ الحية والأنسان فتسعى الثعابين إلى لدغ الإنسان في قدميه القريبة منها لأنها تزحف على الأرض أما الإنسان فيدوس عليها وعلى رأسها ليسحقها ويقتلها [٣٥].

وقد ذكر ديريك كدنز في التفسير الحديث رأياً مخالفاً لما ذكرته الموسوعة الكنسية إذ قال :

" لم يسأل الله الحية بل أصدر عليها الحكم فقط وهذه الكلمات لا تعني أن الحيات لم تكن من الزواحف قبلاً ، كما لا تعني أن هذا تعليل قصصي لزحفها كأن نقول إليك قصة كيف فقدت الحية أقدامها ولكن هذا يعني أن الزحف صار منذ ذلك الحين رمزياً" [٣٦] .

ومن خلال استعراض آراء المفسرين والشراح لهذا النص نجد اختلافاً فيما بيناً ذهبوا إليه إذ ذكرت الموسوعة الكنسية بأن معنى الحية قد يكون الشيطان وهي غير جازمة في ذلك الرأي ، أما ديريك كدنر فقد أكد على حيوانية الحية وأنها أصبحت تزحف منذ أن حدثت تلك القصة.

أن التأمل في قصة الحية وخطاب الله لها يثير عدداً كبيراً من الأسئلة ويشكك في مصداقية الرواية التي وردت في نصوص العهد القديم والني نبئ عليها كُتاب ومفسرو وشراح ذلكَ النص أوهامهم.

فنرى أن قصة الحية مشوشة ومضطربة فتارة يضعها العهد القديم بأنها رمز للشيطان وأخرى يصفها بأنها حية حقيقية وليس عن معنى رمزي فقد وصفها من البهائم (ملعونة أنتِ من بينَ جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية) ، فالحديث هنا عن حية حقيقية لازلنا نراها إلى يومنا هذا وهي تسعى على بطنها ، فإذا كانت الحية حقيقية فهل الحيوان مكلف حتى يعاقب هذه العقوبة من قِبل الله سبحانه وتعالى ؟ وأين الإشارة لمثل هذا التكليف في العهد القديم ؟

فمسألة سعي الحية على بطنها يفترض أنه من أصل الخلقة التي جبلها الله عليها ، فإذا كانت الحية لا تسعى على بطنها قبل العقاب فكيف كانت تسير هل كان لها أرجل تتنقل بهما أن لم تكن زاحفة والمعلوم لدى الجميع أن هناك مجموعة كبيرة من الزواحف التي تسير على بطنها فهل يعتبر هذا عقاب لها من قبل الله ؟ ، وما هو المبرر من إنزال العقوبة بحيوان غير عاقل ؟

وأما مسألة لدغ الحية للعقب وان الإنسان يحرص على سحق رأسها فهذا أمر طبيعي لا يختلف عليه أثنان فقضية لدغ العقب هي غريزة حيوانية ولان العقب أقرب الأعضاء إليها ، وسحق رأسها من قبل الإنسان كون الرأس هو مركز السم وخطرها يكمن فيه فهو يفعله لان

الرأس مقتلها لا غيره فهل ما كان من صل الخلقة التي خلقها الله عليها تصبح عقوبة إلهية لها ؟

قائمة المصادر

(١) سفر التثنية : ٣٤ : ١٠ .
(٢) سفر التثنية : ٣٣ : ١ .
(٣) سفر العدد : ١٢ : ٧ .
(٤) سفر الخروج : ٣٤ : ٥ – ٧ .
(٥) يُنظر : التفسير الكامل للكتاب المقدس ، متى هنري ، مطبعة إجلز – مصر ، ٢٠١١م ، ط١ ، ١ / ٢٢٤ .
(٦) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم ، تفسير سفر الخروج ، مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة – منشورات كنيسة مار مرقص القبطية الارثوذكسية – مصر ، ط١ ، ٢ / ٢٩٣ .

(٧) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم ، تفسير سفر الخروج ، مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة – منشورات كنيسة مار مرقص القبطية الارثوذكسية – مصر ، ط١ ، ٢ / ٢٩٣ .

(٨) سفر الخروج : ٣٢ : ١٠ .

(٩) سفر الخروج : ١٥ : ٣ .

(١٠) سفر التثنية : ٣ : ٢٢ .

(١١) سفر اللاويين : ٢٢ : ٢٦ – ٢٩ .

(١٢) تفسير سفر اللاويين ، أنطونيوس فكري ، كنيسة السيدة العذراء ، الفجالة – مصر ، ١٨٥ .

(١٣) يُنظر : تفسير الكتاب المقدس ، جون مارك آرثر ، نسخة فانديك البستاني ، دار منهل الحياة ، درغام للطباعة والنشر ، ٢٠١٢م ، ط٢ ، ٢٧٥ .

(١٤) يُنظر : تفسير سفر اللاويين ، تادرس يعقوب ، كنيسة الشهيد مار جرجس ، سبورتنج – مصر ، ١٩٨٤م ، ١٩٧ .

(١٥) سفر التثنية : ٢٤ : ١٦ .

(١٦) سفر حزقيال : ١٨ : ٢٠ .

(١٧) سفر هوشع : ١٣ : ١٦ .

(١٨) سفر الخروج : ١١ : ١ – ٢ ، و ١٢ : ٣٥ – ٣٦ .

(١٩) يُنظر : التفسير الكامل للكتاب المقدس ، متى هنري ، مطبوعات اجلز – مصر ، ٢٠١١م ، ط١ ، ١ / ٦٨ .

(٢٠) يُنظر : السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، شرح سفر الخروج ، وليم مارش ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى – بيروت ، ١٩٧٣م ، ط١ ،٢٠ – ٥٠ .

(٢١) سفر الأمثال : ١٢ : ٢٢ .

(٢٢) سفر الخروج : ٢٠ : ١٥ – ١٧ .

(٢٣) سفر الخروج : ١٢ : ١٢ – ١٣ .

(٢٤) يُنظر : الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم ، شرح سفر الخروج ، مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة ، منشورات مار مرقص القبطية الارثوذوكسية – مصر ، ط١ ، ٢ / ٨٥ .

(٢٥) يُنظر : التفسير الكامل للكتاب المقدس ، متى هنري ، مطبوعات اجلز – مصر ، ٢٠١١م ، ط١ ، ١ / ١٧١ .

(٢٦) سفر التكوين : ٣ : ١٦ .

(٢٧) يُنظر : السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، شرح سفر التكوين ، وليم مارش ، مجمع الكنائس في الشرق الادنى – بيروت ، ١٩٧٣م ، ط١ ، ٤١ .

(٢٨) يُنظر : تفسير سفر التكوين ، القديس يوحنا ، (ذهبي الفم) ، ٥٣ .

(٢٩) يُنظر : الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم ، شرح سفر التكوين ، مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة ، منشورات مارمرقص القبطية الارثوذكسية – مصر ، ط١ ، ١ / ٤٦ – ٤٧ .

(٣٠) سفر حزقيال : ٢٠ : ١٨ .

(٣١) سفر التثنية : ١٦ : ٢٤ .

(٣٢) سفر أخبار الأيام الثاني : ٤ : ٢٥ .

(٣٣) الرسالة إلى مؤمني روما : ٥ : ١٠ .

(٣٤) سفر التكوين : ٣ : ١٤ – ١٥ .

(٣٥) يُنظر : الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القدم ، شرح سفر التكوين ، مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة ، منشورات مارمرقص القبطية الارثوذكسية – مصر ، ط١ ، ١ / ٤٦ .

(٣٦) التفسير الحديث للكتاب المقدس ، ديريك كدنر ، ترجمة : بخيت متى ، دار الثقافة – مصر ، ط١ ، ٧٣ .